

جورج قرم

المشرفي النهضوي الساعي إلى العدالة للشعوب



(هيثم الموسوي)

والإعلامي والمالي، المستفيدين من دعم غير محدود من حكومات عربية ومنظمات تمويل دولية ودول غربية.

اهتم صديقنا بموضوع العولمة، فكتب الكثير في مناهضتها، وكان تواقاً للوصول إلى التعددية القطبية، وخفض النزاعات العسكرية، وإزالة ترسانات أسلحة الدمار الشامل. ورأى إمكانية تاكل التماسك في السلطة المعولمة التي قد يؤدي إليها تراجع الولايات المتحدة وأوروبا، وصعود الاقتصادات الناشئة، فالتغيير أمر عاجل وضروري في رأيه.

منذ زمن وهو يرى أن العلمانية تفقد أي مصداقية في الخطاب الغربي، ومن دونها لا يمكننا الحفاظ على النظام الدولي، ثم يستشهد بأرنولد توينبي بقوله «إن الجوانب العلمانية في الحضارة الغربية ليست إلا مرحلة عابرة بالضرورة». وصحيح أن أيديولوجيا التقدم والعقل تغلبت على كل أشكال خلاص البشرية عبر الدين، لكن، في نهاية المسار تصبح تلك الأيديولوجيا نفسها ذات طابع مقدس، إن كانت رأسمالية أم اشتراكية.

الأسئلة الفكرية كانت كثيرة بيننا، إذ كنا نحن، نحن أصدقاؤه، أن نستمتع إلى آرائه وأفكاره وتحليلاته العميقة، هو المفكر المتثور المستقل المدارس المتابع لقدماء المفكرين والحديثين منهم، يختبر ما يقرأ، ويقول قناعته بحرية ومسؤولية. وسوف تبقى مساهماته زاداً فكرياً للدفاع عن حق العرب في الاستقلال والنهضة. نحفظ عنه النداء الذي كرره في أكثر من كتاب والذي يقول فيه: «يا أنصار الجمهورية والعدل في جميع الأمم وجميع الإنبيات والأديان، وجميع الخلفيات الأكاديمية، اتحدوا».

نعزي أنفسنا قبل أن نعزي أسرة جورج قرم العزيرة

* رئيس مؤسسة عامل الدولية

في الغرب، ونحث على الالتزام بالقضايا العربية العادلة.

لقد كان الموضوع الفلسطيني أثيراً بيننا، فكثيراً ما دعا إلى الكفاح من أجل استعادة حقوق الشعب الفلسطيني. وفي الحوارات التي تدور مع الأصدقاء، كما في مؤلفاته، رأى أن الغرب يرفض، ومعه الأمم المتحدة، تقديم حماية دولية للشعب الفلسطيني الذي لم يستطع بسط سلطته على 22% من أراضيه الفلسطينية، بل الغرب يدع الجيش الإسرائيلي يمارس كل أساليب العنف، وعندما يردّ الفلسطيني على العنف بالعنف يوصف بـ«الإرهابي». أمّا إسرائيل، فيصفاها الغرب بأنها إنما «تدافع عن نفسها»، ولكنها، وأمام أعين العالم، تفعل ذلك بالتنكيل والتدمير والإبادة العنصرية، بل بنشر المزيد من المستوطنات في أراضي 67. وقد بقي الغرب يلعب دوره وفقاً للعبارة المختصرة التي كان يكررها القرم: «الغرب إطفائي مغرم بالحرائق».

وكثيرة هي المشكلات التي كانت تثير حفيظة جورج قرم، وتشغل باله، هو المفكر الهادئ والجريء في آن، وقد شغلته التحديات الكثيرة التي تواجه المجتمع العربي، فكان يعتبر أن ما يجري من حروب وتدمير لدول ومجتمعات عربية، يجب أن يشجعنا على التفكير، أولاً، في السلام بين العرب أنفسهم، ثم في كيفية مواجهة أي عدوان خارجي. فنسيح المجتمع العربي مصاب بالتفكك، وأهمية العمل الذي تقوم به بعض المنظمات الإنسانية، يكمن في مقارعة الفقر وتخفيف معاناة المهمشين.

لاحظ جورج قرم أن تسلمه وزارة المالية أغنى تجربته، كونه عاين واقع الأداء الحكومي من الصفوف الأمامية، وكثيراً ما أفاد بأن لبنان وقع ضحية فساد متعدد الأشكال، على يد حفنة من أصحاب النفوذ السياسي والاقتصادي

وعندما صدرت سيرتي الذاتية «ملحمة الخيارات الصعبة»، وقراها، لفتت نظره، وبادرني باقتراح ترجمتها إلى الفرنسية والإنكليزية، معرباً عن استعداده لكتابة مقدمة للترجمتين، وأصر على أن يشرف على الطبعة الفرنسية الثالثة، ابتغاء للدقة، وإبداء لاهتمام بضمون السيرة، وقد نشرت تلك الطبعة عبره في دار «لارماتون» الفرنسية. وعندما سألتها عما أعجبه في السيرة؟ قال لي: أنت مناضل صامت، اخترت عملاً صعباً، عندما رحلت تعمل في الريف عملاً مديناً غير طائفي، فكانت تجربة غنية وناجحة، لذا يجب أن يقرأوا تجربتك هذه في الغرب.

وعلى امتداد لقاءات عدة بقي جورج قرم يناقش معي ما قرأه في السيرة، كأنما أراد أن يتعمق أكثر في معرفتي، وهكذا تمتت العلاقة بيننا، ولما تعرّف إلى تجربة «مؤسسة عامل الدولية»، ولاحظ توسعها، وانتشار أنشطتها في الغرب وبلاد أخرى، وكنا قد عزمنا على الترشح لجائزة «نوبل للسلام»، طلبنا منه أن يقوم بترشيحنا للجائزة، بصفته شخصية معنوية بارزة، فكان لنا ذلك، بكل رحابة وترحيب، علماً أننا وإياه نعلم أن الجائزة سياسية وتغرب عنا، لكننا، مع ذلك، أصررنا، ولثمان سنوات، على أن نكرر سنوياً الترشيح، من دون أن يكون الهدف نيل الجائزة، بقدر ما يشكل محاولة للضغط في اتجاه أن تكون الجائزة عادلة.

كان جورج قرم، على حد تعبيره في حوار جرى معه، فخوراً بتقديمه ترشيحنا للجائزة، كمؤسسة إنسانية مستقلة لا طائفية، ملتزمة بقيم العدالة الاجتماعية وخصوصاً قضية فلسطين، قادرة على تغيير حياة الناس، ومستجيبة للآزمات الإنسانية، ولا سيما أزمة اللاجئين، على حد قوله. وكان يعبر عن اقتناعه بجهود المؤسسة ونضالاتها، للحد من خطورة التصادم الذي يمكن أن يقع بين النازحين وأبناء المجتمع اللبناني، مثنياً (أي «عامل») أن الاعتبارات الإنسانية فوق كل اعتبار. وكمرّة أكد أننا نستحق الجائزة، وأنه في غاية السعادة والحماسة لترشيحنا لها.

وعندما أردت إصدار كتاب «مواجهة الاستثمار المفرط لمفهوم المجتمع المدني»، لم يتأخر في كتابة مقدمة للكتاب، إلى جانب د. مصطفى حجازي. وهو كان يميز بين منظمات المجتمع المدني التي تستورد نموذجها من الخارج، وتلك التي تعمل في المجتمع من دون أي دافع خارجي.

توثقت العلاقة بيننا أكثر فأكثر، حتى باتت شبه يومية، وكنا نلتقي معاً شخصيات مؤثرة، أمثال جان بول شانيلو وبيار بلان، وكلما زارت وفود أجنبية مهمة مراكز المؤسسة، كنا ندعوه للمشاركة في الاجتماعات معها، لتقديرنا بأهمية حضوره والمدخلات التي يغني بها كل لقاء. فكان حاضراً عندما زار الرئيس ماكرون مركز «عامل» في عين الرمانة، وتحدث معه عن القضية الفلسطينية، وكذلك فعلت. وقدمنا معاً رؤيتنا حول مصلحة بلادنا وازدواجية المعايير

كامله مهنا*

أمام رحيل جورج قرم أجد حزني مضاعفاً، لأنني بفقدته خسرت أنا و«مؤسسة عامل» صديقاً ودوداً، ومسهماً فعلاً في إضاءة الطريق الذي نسلكه معاً، وأفكاره وآرائه التي كان يهدينا إياها بسخاء، ورغبة في تطوير التجربة، وتقديم المجتمع. وبفقدته خسر العالم مفكراً كبيراً، وخبيراً اقتصادياً ومالياً، وإنساناً همه أن ينشر الوعي في المجتمع، بكل ما قدم من مؤلفات باتت مراجع مهمة لأجيال مقبلة.

لقد غمرني الحزن عليه، قبل أسبوع واحد من رحيله، عندما دعوته إلى الغداء، مع ممثل الأمين العام السابق للأمم المتحدة في لبنان روس ماونت، وأصدقاء آخرين، ولاحظت حينها تراجع وضعه الصحي، وذبول الحياة في وجهه، فكان ذلك اللقاء بمنزلة الوداع الأخير له، والصورة الأخيرة المؤلمة التي علقته بالذاكرة. لن ننسى تلك القامة اللبنانية العربية العالمية، وتلك الخسارة الكبيرة التي طاولت كل من عرفه وصداقه، وكل من تتلمذ على يديه، كاستاذ جامعي مؤثر، وكل من قرأ كتبه وأبحاثه في

كان يعتبر أن ما يجري من حروب وتدمير لدول ومجتمعات عربية، يجب أن يشجعنا على التفكير، أولاً، في السلام بين العرب أنفسهم، ثم في كيفية مواجهة أي عدوان خارجي

الشرق والغرب.

ما يميز علاقتنا أنها لم تكن حصيلة المرحلة الطالبية أو مرحلة الشباب، كما تحصل العلاقات عادة، إنما أتت في عمر مختلف، وامتدت إلى عائلتنا، عبر زيارات متبادلة، فكانت نانس لجلساته وأحاديثه، مستمتعين بفكره وبسمته المضيئة.

أول معرفتي به كانت عبر أصدقاء مشتركين، عندما أسس في فرنسا (وفي لبنان) «حركة مواطن»، وبدأ التناغم بيني وبينه حينها، إلى أن عدنا والتقينا في لبنان، ووجدنا نفسنا معاً من أصدقاء الرئيس سليم الحص، بالإضافة إلى أصدقاء آخرين مشتركين، بينهم د. مصطفى حجازي، ود. نجيب عيسى ود. سمير مقدسي. وتوسعت العلاقة أكثر، عندما بدأ يتردد على «مؤسسة عامل»، وبحكم موقعه في الجامعتين الأميركية واليسوعية كان يرسل إلى «عامل» متطوعين من الطلاب، وكان بين المتطوعين حفيدته وابنة شقيقته. ثم انضم إلى هيئة الرعاية الوطنية لمشاريع «عامل» التي يرأسها الرئيس الحص (عافاه الله وشفاه).